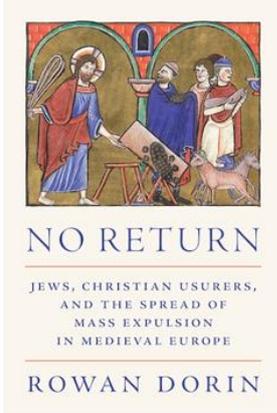




شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

مراجعة كتاب



## روان دورين\*: لا عودة: المرابون اليهود والمسيحيون وانتشار الطرد الجماعي في أوروبا في العصور الوسطى

المراجع: جامين أندرياس هوبنر\*\*

ترجمة: مصباح كمال\*\*\*

روان دورين. لا عودة: المرابون اليهود المسيحيون وانتشار الطرد الجماعي في أوروبا في العصور الوسطى. برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 2023. 374 ص. 49.95 دولار (غلاف مقوى)، ISBN: 978-0691249823.

Rowan Dorin. No Return: Jews, Christian Usurers, and the Spread of Mass Expulsion in Medieval Europe. Princeton: Princeton University Press, 2023. 374 pp. \$49.95 (hardback), ISBN: 978-0691249823.

Reviewed for EH.Net by Jamin Andreas Hübner, LCC International University and University of the People.

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة بالنقر على هذا الرابط: <https://eh.net/?s=dorin>

في كتابه **لا عودة**، يريد المؤرخ روان دورين إعادة النظر في موضوع الطرد الربوي usury expulsion [الطرد بحجة ممارسة الربا] في أوروبا في العصور الوسطى، وخاصة في إنجلترا وفرنسا، بسبب العديد من الأخطاء في المعرفة والثغرات في



## مراجعة كتاب

التحليل. كتب في المقدمة (ص 4): "إن عمليات الطرد المتكررة للومبارديين<sup>1</sup> Lombards وغيرهم من مقرضي الأموال الأجنبية لم تجتذب اهتمامًا أكاديميًا كبيرًا، والقليل الذي كتب عنهم غالبًا ما يكون خاطئًا". وبعبارة أخرى، لا يمكن فهم طرد المرابين اليهود إلا ضمن الفئة الأكبر من طرد المرابين—وهو ما قد يبدو ملاحظة واضحة، ولكن على ما يبدو هو ليس كذلك.

والحقيقة هي، كما يوضح دورين، أنه "من بداية القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الرابع عشر، أن كل نظام سياسي أوروبي كبير أمر بطرد جاليتيه اليهودية أمر أيضًا بطرد المرابين المسيحيين الأجانب." (ص 4). لماذا كان هذا؟ كيف حدث ذلك؟ ما السبب وكيف شكّلت عمليات الطرد هذه المجتمعات؟ هذه بعض الأسئلة التي يبحثها الكتاب.

ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الجزء الأول (الطرد المبكر في القرن الثاني عشر)، الجزء الثاني (تقنين وتدوين الطرد في الوثائق والمراسيم)، والجزء الثالث (التغيرات والتطور في الطرد في القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث عشر).

غالبًا ما يُنسى المرابون المسيحيون "جزئيًا بسبب الرواية العنيدة (والخبيثة في كثير من الأحيان) التي بموجبها كان اليهود في العصور الوسطى يحتكرون تقريبًا إقراض الأموال في العصور الوسطى." (ص 10). إن خطأ المؤرخين هذا يؤثر على التاريخ الاقتصادي بطرق مختلفة.

"... إن الوعي المحدود بهؤلاء المقرضين المسيحيين المحترفين ينبع أيضًا من الطبيعة المحلية للغاية لمعظم الدراسات ذات الصلة، وغياب هذا الوعي في الدراسات الأساسية المعتمدة للتاريخ الاقتصادي في العصور الوسطى. فطوال فترة طويلة من القرن العشرين، أدت المناقشات القوية حول صعود الرأسمالية الحديثة وتطور التقنيات التجارية الحديثة إلى قيام الباحثين بالتركيز على الشركات المصرفية الكبرى في سينا Siena وفلورنسا، بدلاً من التركيز على

<sup>1</sup> ينحدر اللومبارديون من أصول جرمانية قاموا بغزو معظم أنحاء إيطاليا في الفترة الممتدة بين 568-774 ميلادية. هاجرت بعض العوائل المصرفية الثرية من لومبارديا في شمال إيطاليا إلى إنجلترا بعد طرد اليهود (عشرينات القرن الثالث عشر) وتقديم القروض للملوك ورجال الأعمال. هناك شارع يحمل اسم لومبارد Lombard Street في الحي المالي The City في لندن ومن أشهر معالمه بنك إنجلترا، البنك المركزي. (المترجم)



## مراجعة كتاب

"سماسرة الرهونات" 'pawnbrokers' الذين رأوا أنهم منفصلون عن القوة المحركة للتمويل الدولي. " (ص 10).

كان المرابون المحترفون أو المصرفيون (اليهود والمسيحيون) يشكلون عادةً "عقدًا" حيوية داخل الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية حيثما وجدوا. "هناك ثلاث اتجاهات متشابهة عززت وجودهم المتزايد في أوروبا في العصور الوسطى: النمو المتزايد للتجارة والتبادل التجاري؛ وزيادة سهولة التنقل والهجرة؛ والاحتياجات المالية المتزايدة للأمرء والأساقفة." (ص 8). حددت بعض القوانين أسعار الفائدة، "بنسبة تصل عادة إلى 43.3% سنويًا." (ص 8). "كان الواعظون يذكرون المقرضين المسيحيين بانتظام بالتهديد باللعنة الأبدية إذا فشلوا في التعويض عن ممارساتهم الخاطئة." (ص 9). وكان الطرد—على غرار المنفى، حيث يتم نقل الأشخاص أو الجماعات إلى خارج الحدود السياسية—أمرًا شائعًا في أوروبا في العصور الوسطى بالنسبة إلى "الزنادقة، والبيغايا، والمجذومين، والمتسولين، وغيرهم الكثير." (ص 228)، على الرغم من أنه لفت للنظر في بعض النواحي لأن الإمبراطورية الرومانية والكيانات السياسية الأخرى عادة ما كانت تضع الناس في السجن أو تحد من قدراتهم داخل المجال الإمبراطوري، وليس مجرد طردهم منه. (ص 5).

يوضح دورين أن الطرد بسبب الربا كان أمرًا سياسيًا للغاية ومتغيرًا باستمرار. "قد تكون معاملة معينة مربحة لمراقب واحد ولكن ليس لمراقب آخر، وما قد تسمح به إحدى السلطات بكل سرور قد تدينه سلطة أخرى بشدة." (ص 11). ويمكن للمرء أيضًا أن يكون مرابيًا بالتبعية by association — أي استرباح المصرفيين، وهو "مفهوم موسع عزز حجج القرن الثالث عشر بأن جميع اليهود كانوا مرابين." (ص 14). لقد كان إطلاق صفة "المرابي" اتهامًا علائقيًا relational accusation أكثر من كونه دورًا رسميًا، وكان الحظر يركز على مخاوف اقتصادية حمائية ومخاوف لاهوتية/أخلاقية، فضلاً عن معاداة السامية.

شهد الجزء المركزي من القرن الثالث عشر كيف أن "الممارسات الكنسية، والسوابق precedents الملكية، والمطالب البارونية عززت بشكل جماعي الافتراض القائل بضرورة طرد الأجانب المتورطين في الربا من المملكة." (ص 79). ثم جاء مجلس ليون الثاني Second Council of Lyon (1274) وأصدر مراسيم ملكية مختلفة، والتي لم تكن محظورات معزولة للممارسات المالية:



## مراجعة كتاب

"في سعيهم لإبطاء انتشار الإقراض المسيحي، أنشأ واضعو مراسيم ليون مجموعة من العقوبات العلمانية الجديدة لدعم المجموعة الحالية من العقوبات الروحية. وبشكل خاص، في أعقاب المثال الأخير الذي ضربه الملك لويس التاسع [1214-1270]، ملك فرنسا [1226-1270]، تبنى واضعو الدستور الطرد كعقوبة للمرابين. ومع ذلك، أدت المداولات خلال المجلس إلى تضيق نطاق العقوبة الجديدة: من أجل استهداف اللومبارديين ومجموعات الكوهورسيين Cohorsins الذين كانوا يثيرون القلق الكنسي بشكل أكثر دقة، حددت النسخة النهائية المنشورة أن المرابين "الأجانب" هم الذين سيتم طردهم." (ص 120).

وشكل المجلس الأساس لموجة جديدة من عمليات الطرد. وقد تم الاستشهاد به في التشريعات المحلية وفي لغة العقوبات؛ كما تم توزيع حوالي 1300 أطروحة ووثيقة مذهبية جديدة في جميع أنحاء المجتمع، و"بعد قرن من الزمان، بدأ الواعظون الفرنسيون الملتزمون الاعتماد على المرسوم في خطبهم." (ص 141).

ولكن على الرغم من هذا التدوين، لم يكن من الواضح تمامًا من الذي يجب طرده. وعلى النقيض من الممارسات السابقة، "سرعان ما يدين الخطاب الملكي الإنجليزي جميع اليهود كمرابين،<sup>2</sup> في حين أن الإجراءات الفرنسية ضد المرابين الأجانب سوف تتسع لتشمل جميع التجار الإيطاليين داخل المملكة." (ص 146). علاوة على ذلك، كما يوضح الفصل السابع، لم يتم تطبيق القوانين فعليًا؛ فالعقوبات "فشلت فشلاً ذريعاً في أداء واجباتها." (ص 170). وهذا ما جعل الطرد سياسياً مرة أخرى؛ "تبنت بعض الأساقفة الطرد فقط كوسيلة لمعاقبة المقرضين الذين وقعوا في الجانب الخاطئ من المشاحنات السياسية المحلية، بينما فشل آخرون ممن فرضوا الطرد في لوائح أبرشيتهم في تنفيذه داخل المناطق الخاضعة لهم." (ص 195). في بعض الحالات، "فقط إذا تمرد اليهود ضد السلطة الأميرية أو أساءوا بطريقة أخرى لـ"امتياز" وضعهم الأجنبي alien status، فإنهم يستحقون الطرد." (ص 201). وفي قشتالة، "حظر القانون على جميع المسيحيين الإقراض بفائدة بحلول منتصف القرن الثالث عشر، وأدت الشكاوى البرلمانية المتكررة إلى التوسيع المؤقت لحظره ليشمل اليهود والمسلمين في عام 1348." (ص 222). بحلول عام 1492، كان من الواضح أن

<sup>2</sup> يرد في كتاب رمسيس عوض، **شكسبير واليهود** (بيروت، القاهرة: دار الانتشار العربي، سينا للنشر، 1999) معلومات مختصرة عن طرد اليهود من إنجلترا (1290) وتقلبات المواقف تجاه اليهود وموضوع الربا، ص 9-



## مراجعة كتاب

الربا لم يكن له أي علاقة بأي شيء، عندما "أمر الملك [فيرديناند] والملكة [إيزابيلا] جميع اليهود الذين لم يعتنقوا المسيحية بالخروج من ممالكهم"<sup>3</sup> — مما أدى إلى "نزوح جماعي وطوفان من التحولات القسرية" "دمر ما كان مجتمعًا يهوديًا هو الأكثر حيوية واحترامًا في أوروبا." (ص 224). لم يكن هناك سوى القليل من المنطق أو الأسباب [للطرد] على المدى الطويل؛ فـ"أولئك الذين اعتقدوا لفترة طويلة أنهم في مأمن من نطاق الطرد قد يُطردون فجأة من منازلهم، في حين قد يعيش آخرون في خوف لعقود من الزمن ويهربون في النهاية دون أن يصابوا بأذى." (ص 234).<sup>4</sup>

إن كتاب لا عودة عمل أصيل وعلمي ومتخصص للغاية. سيجد المهتمون بالاقتصاد الأوروبي في العصور الوسطى رحلة رائعة وتصحيحًا للعديد من الصور النمطية الإشكالية حول الربا والأعمال المصرفية اليهودية في ذلك الوقت. تذكرنا قصة الثلاثمائة عام التي يتناولها الكتاب كيف أن النظام الملكي، بالاشتراك مع غياب حقوق الإنسان الواضحة والسياسة الاقتصادية المتسقة، يؤديان إلى معاناة تعسفية وغير ضرورية للعديد من الناس. وهذه القصة تتصل بموضوعات الكولونيالية الاستيطانية والطرد الجماعي كما جاء عرضه في كتاب لورنزو فيراچيني الكولونيالية: تاريخ عالمي (روتليدج، 2023)؛<sup>5</sup> سواء كان الخوف من الخطيئة، أو كراهية الأجانب، أو عدم المساواة الاقتصادية، أو العنصرية وراء الطرد، فإن أولئك الذين يتمتعون بسلطة

<sup>3</sup> شمل الأمر الملكي المسلمين. يؤشر العام 1492 على سقوط مملكة غرناطة عندما وقع آخر ملوكها، أبو عبد الله الصغير، معاهدة استسلام مع الملكين الكاثوليكين فرديناند وإيزابيلا. وعلى إثرها خرج آلاف المسلمين واليهود من الأندلس منتشرين في شمال أفريقيا فرارًا من اضطهاد محاكم التفتيش ومجازر القتل والتعذيب. واستمر الاضطهاد بعد ذلك حتى ضد من اعتنق من المسلمين المسيحية (المورسكيون Moriscos). ففي العام 1601 مُنح هؤلاء ثلاثة أيام لمغادرة الأراضي الإسبانية والإقتل، حيث ترك ما يقدر بأكثر من 300 ألف منهم منازلهم. وهو ما يذكرنا بما تقوم به إسرائيل في غزة بإخلاء الفلسطينيين لمنازلهم والتوجه نحو جنوب غزة (تشرين الأول 2023). للتعرف على تفاصيل التطهير العرقي في إسبانيا راجع:

Matthew Carr, *Blood and Faith: The Purging of Muslim Spain, 1492-1614* (London: C Hurst & Co Publishers, 1917)

(المترجم)

<sup>4</sup> الأذى الذي لحق بالمورسكيين شمل الطرد والتعذيب والتحدث باللغة العربية والاعتصاب والقتل الخ. مصدر سابق (المترجم)

<sup>5</sup> راجع ترجمة مراجعة هذا الكتاب في موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين:

[مراجعة-كتاب-لورينزو-فيراجيني-الكولونيالية-تاريخ-عالمي-\(iraqieconomists.net\).pdf](http://iraqieconomists.net)



## شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK

www.iraqieconomists.net

### مراجعة كتاب

مركزة وغير خاضعة للرقابة لديهم، لسوء الحظ، الوسائل اللازمة لجعل مخاوفهم تنبض بالحياة من خلال إبعاد الناس عن عالمهم. ■

Copyright (c) 2023 by EH.Net.

(\* ) دورن روان، أستاذ مشارك في التاريخ، جامعة ستانفورد، الولايات المتحدة الأمريكية

(\*\* ) الدكتور جامين أندرياس هوبنر عضو هيئة التدريس في جامعة الشعب وجامعة LCC الدولية التي كانت تعرف سابقاً باسم Lithuania Christian College. وهو باحث في الدين والاقتصاد، ناشط وقائد تنظيمي، ويعمل حالياً على تأليف كتاب عن الاقتصاد التعاوني.

Dr. Jamin Andreas Hübner is a faculty member at the University of the People and LCC International University. He is a scholar of religion and economics, as well as an activist, and organizational leader, and is currently writing a book on cooperative economics.

نشر موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين ترجمة لمراجعته لكتاب ديبين ما وريتشارد فون غلان، محرران، تاريخ كامبريدج الاقتصادي للصين: المجلد الثاني:

[مراجعة-كتاب-ديبين-ما-وريتشارد-فون-غلان-محرران-تاريخ-كامبريدج-الاقتصادي-للصين-](http://iraqieconomists.net/pdf/المجلد-الأول-مراجعة-كتاب-ديبين-ما-وريتشارد-فون-غلان-محرران-تاريخ-كامبريدج-الاقتصادي-للصين-)

وكذلك مراجعته لكتاب لورينزو فيراچيني، الكولونالية: تاريخ عالمي [pdf \(iraqieconomists.net\)](http://iraqieconomists.net/pdf/مراجعة-كتاب-لورينزو-فيراجيني-الكولونالية-تاريخ-عالمي)

(\*\*\*) مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.  
5 كانون الأول 2023

<http://iraqieconomists.net/ar/>